الجزائر كورشة للنقاش الإيكولوجي :نحو نزعة اخضرار الأنثروبولوجيا

Algeria as a workshop for ecological discussion: Towards the greenness of anthropology

لحسن رضوان*

جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم (الجزائر)، radouane772003@yahoo.fr

تاريخ الاستقبال: 2022/03/30؛ **تاريخ القبول**: 2022/05/30؛ **تاريخ النشر**: 2022/06/16

ملخص: جزائر"الاستثناء"كفضاء مفكر فيه ومختبر للتجريب هو فرصة لفحص «الأداة والموضوع» على حد سواء وفهم كيفية تعاطي العلوم الاجتماعية مع ذاتها من خلال عملية المساءلة للمعرفة الأنثروبولوجية عن مدى وجاهتها في التعامل مع كل المقاربات الايكولوجية التي تتشكل في ظل غياب حقل مستقل يهتم "بالأنثروبولوجيا الايكولوجية "أو "علوم اجتماعية خضراء"، وغياب مرتبط بشروط «إنتاج المعرفة»، سوف سنحاول ممارسة نوع من «الترميم» من خلال إلقاء الضوء على «المحلي» في وجهه الظاهر.

هذا البحث لا يبحث في تحليل وتقصير الحركة الايكولوجية بل يذهب إلى أعمق من ذلك في محاولة فهم والتساؤل عن الشيء الأكثر تقلقلا في أسس معرفتنا ؟ وما الحاجة إلى أخلاق بيئية جديدة؟

الكلمات المفتاحية :

علوم اجتماعية خضراء ،أنثروبولوجيا خضراء ،المحلي ،إنتاج المعرفة، الايكولوجيا.

Abstract

The “exceptional” Algeria as a thinking space and a laboratory for experimentation is an opportunity to examine both the “tool and the object” and to understand how the social sciences deal with themselves through the process of questioning anthropological knowledge about its relevance in dealing with all the ecological approaches that are formed in the absence of an independent field of interest. With ecological anthropology" or "green social sciences", and an absence linked to the conditions of "knowledge production", we will attempt to exercise a kind of "restoration" by highlighting the "local" in its apparent face.

This research does not look at analyzing and shortening the ecological movement, but rather goes deeper than that in an attempt to understand and question what is **the most volatile thing in** the foundations of our knowledge? What is the need for a ne environmental ethics?

I– تمهيد :

"ارجال أكثر تورطا من النساء في التدمير البيئي

1– مقدمة

يقظة الذات " (أونغر 1978). وممارسة نقد العقل الايكولوجي هو محاولة جادة للتفكير في بناء "**عقلانية للشرط الانساني** "،وهي بداية لكيفية تأسيس لنمط من "**الإقامة** "غير مغترب تؤدي إلى الاستدامة حتى نستعيد انغراسنا في هذا العالم .

إن محاولة التأسيس "**لأنثروبولوجيا خضراء**" من خلال التفتيش عن المعنى والتفتيش عن الفهم في صلب المعيش اليومي دون الاكتفاء به، بل النظر لهذا الكوسموس الأوسع كذلك .

نحن كائنات الصيرورة وهذه طبيعة البشر، بحاجة إلى نسق جديد لمؤازرة الحياة عبر التفاؤل باعتباره ضرورة بيولوجية ولدى يجب علينا ان نكون طموحين من أن نجعل حياتنا ذات معنى وما اخضرار العلوم سوى الابتعاد عن طاعون اليأس والعجز واسترجاع الأمل وإلا سوف نتحلل ككائنات بشرية ،ولدى علينا الحفر عميقا في طبيعة "**الشرط الانساني**" وفي كيفية تصورنا لما هو إنساني عبر تحمل مسؤوليتنا كجنس بشري يتجاوز ذاته إلى مسؤولية الكوسموس بأسره في سياق "**المجتمع المكاسب والمصالح** ". هذا المقال يطرح إشكالية مركزية تتعلق بنزعة "**إخضرار**"العلوم الإجتماعية من خلال الكشف عبر المحلي والتجريب الميداني فحص موضوع الايكولوجيا، ومحاولة إبراز الطابع الخفي لآليات الهيمنة من خلال ثلاث نماذج تطبيقية متمازجة وتطرح سؤاال محوري من أين تستمد هذه الهيمنة مشروعيتها ؟ كما يطرح المقال فرضية أساسية مفادها من يستطيع أن يخبرنا عن مركزية البيئة من هامشيتها بالنسبة لنا .

البحث استخدم المقابلات الفردية والجماعية لجمع المعطيات الميدانية كما ركزنا على الملاحظة بالمشاركة وتقنية تحليل المضمون لبعض النصوص والخطابات .

هذه البحث يهدف إلى الوصول إلى التأسيس إلى معرفة خضراء وإقامة كمفهوم حكيم لغير التكنولوجي عبر بناء عقلانية جديدة متنورة بالمعرفة الايكولوجية والتوقف عن التفكير في الطبيعة كرصيد لا ينضب والفهم المستلب لتكنولوجيا .

1.1––صوت الضمير الايكولوجي–هل مازال مسموعا؟– والنزعة المركزية الغربية

1–2الصمت الرهيب : التجارب النووية الفرنسية بالجزائر كوصمة عار ايكولوجية

بدأ الساسة الفرنسيون يفكرون بجدية في مشروع الطاقة النووية الذي بدأت نواته منذ 10/08/1945 تاريخ إصدار مرسوم حكومي عن طريق الجنرال ديغول (دهمان تواتي ،بلا تاريخ). وقد تم بالفعل في 10 جانفي 1956 م، فقد كانت أول بعثة استطلاعية إلى الصحراء الجزائرية لاختيار ميدان الرمي والتي ترأسها الجنرال) شارل ايروت(كما تم استطلاع ميدان التجارب النووية من 22 إلى25ابريل 1958 ،واختيرت الصحراء الجزائرية كميدان لإجراء التجارب من أجل تنفيذ أولى الاختبارات النووية (عمر منصوري 2010).لقد أصدر ديغول قرارا في 22 جويلية 1958بتفجير القنبلة النوية في الثلاثي الأول من سنة1960وفي بداية فيفري من سنة 1960 كان كل شيء جاهز في رقان و أصبح الأمر بيدي الأرصاد الجوية التي كان عليها أن تحدد اليوم المواتي للتفجير وتقرر التفجير يوم 13 فيفري 1960.على الساعة السابعة و 04 دقائق صباحا. (رشيد حمليل بلا تاريخ) ولم تتوقف فرنسا عن إجراء تجارب أخرى حيث كان لها تجربة اليربوع الأزرق 1960والأبيض والأحمر والأخضر الذي كان 1961 وكان أشدها خطرا ،فعلا كانت يرابيع رقان تجربة على الفئران لا البشر، إنها كارثة انسانية وايكولوجية بمعنى الكلمة وجريمة العصر دون منازع .

الصورة لسجناء جزائريين أجريت عليهم التجارب النووية (بلعروسي عبدالفتاح 2015) .

حاولنا التسلل إلى الرواية باعتبارها مدخل مغاير وأكثر إنسية من الحقول الأخرى في العلوم الانسانية لنرمي بقنبلة روائية من العيار الثقيل وهي رواية "**رقان حبيبتي** " للروائي فكتور مالو سيلفا والتي تعتبر إدانة صريحة من كاتب فرنسي للممارسات استعمارية بحاجة إلى قراءات لا تنتهي .هذه الرواية درس عميق للضمير الانساني حول التجارب النووية بالجزائر وفي رقان بالضبط ،حيث يقدم الروائي بشاعة هذه الأمم الراقية التي تنتج الفناء على هذه الأرض حيث يسرد لنا بعض الوقائع التي عاشها بنفسه " أراد بعض السكان المحليين معرفة لم نحن الذين نملك هذه الأشياء وليسوا هم من يملكونها. شرحنا لهم بأن ذلك يتعلق بالأوامر. كانوا معتادين على الأوامر وعلى عدم مناقشتها، لكن الإجابة لم تقنعهم هذه المرة. وكان علينا أن نؤكد، أن نشرح. البزة والبقية تفيد تمييزنا وتفادي تلطيخ لباسنا العسكري. هدأ أغلبهم، ولتهدئة الأكثر قلقا منحناهم تميمة وشرحنا لهم بأنها أداة سحرية تقييهم وتقي الذين من حولهم. والحق أنها كانت عبارة عن مقياس مقادير يفيد قياس نسبة الإشعاعات التي سيستقبلونها بعد التفجير (سيلفا 2013).

انبثق الضوء بعد الساعة السابعة كما تم الإعلان عنه. كأن شمسا ثانية أكبر من الأولى، أو أقرب منها انبثقت من السماء للتو. ورغم الزجاج الداكن لقناع الغاز فقد رأيت كل شيء أسود لمدة دقائق. لم يتحرك أي من السكان المحليين، لكنهم راحوا يصرخون كلهم، وقد شكل ذلك جلبة مرعبة. أظن أنهم أصيبوا كلهم بالعمى (سيلفا، رقان حبيبتي 2013).

ولا يكتفي الامر هنا بل يتجاوزه إلى استعمال أسماء جميلة تلك التي أسندت إلى القنابل النووية في الصحراء الجزائرية الكبرى، إنها تشبه تماما كلمة بلبل عندما ننعت بها قنبلة ذرية تأتي لبناء حضارة خاصة، قنبلة *مهمة*، من نوع خاص، قنبلة صديقة لا تنتج سوى التشوهات والفناء الذي توزعه الأمم الراقية على الإنسان في الأراضي البعيدة: ذاك ما تلخصه الرواية بسخرية، وبألم فضيع (بوطاجين 2018).

"إنها لفظيعة تلك الأسماء التي أطلقناها على جرائمنا، وقحة و وحشية. أريد أن أفضح هؤلاء الدنيئين الذين ابتكروا هذا: اليربوع، العقيق، غبار الطلع، الإعصار الحلزوني، الولد الصغير (سيلفا، رقان حبيبتي 2013)."

الذي حصل وبالشكل الذي حصل به أين يمكن أن نصنفه ؟ وأي نوع من المعتقدات والقيم من شأنها أن تفعل بالإنسان والطبيعة والكون ما فعلته .هنا فقط يمكن أن نقول أننا بحاجة لتغيير نسق التفكير والإدراك والتقويم برمته ، هنا فقط يمكن للعوم الاجتماعية أن تتدخل بوصفها كوسمولوجيا جديدة.

2.1– 2. الصراخ الرهيب أو قوة الكلمة في الانحياز للبيئة: الغاز الصخري ومجتمع المصالح

لقد شكلت الاحتجاجات بالجنوب الجزائري ضغطا كبيرا ومساءلة الشعب الجزائري لنظامه،حيث سعت هذه الحركة الاحتجاجية لفرض تنازلات لحساب البيئة ويتعلق الموضوع بالغاز الصخري في المناطق الجنوبية ، خصوصا عندما وافق مجلس الوزراء في شهر ماي 2014 على الشروع في تطبيق قانون المحروقات الجديد الذي يسمح باستكشاف واستغلال الغاز الصخري ،وهذا يدخل ضمن تسارع التغييرات "التي أحدثتها وتحدثها الثورة العلمية والتكنولوجية في البيئة وضخامتها وشمولية بعض آثارها فمع هذه الثورة برزت قضيتان أو مشكلتان هما تلوث البيئة واستنزاف مواردها. والتلوث مشكلة كبيرة أعطيت الكثير من الاهتمام بالنظر لأثارها السلبية في نوعية الحياة البشرية فالملوثات تصل إلى جسم الإنسان في الهواء الذي يستنشقه وفي الماء الذي يشربه وفي الطعام الذي يأكله وفي الأصوات التي يسمعها هذا عدا عن الآثار البارزة التي تحدثها الملوثات بمتلكات الإنسان وموارد البيئة المختلفة، أما استنزاف موارد البيئة المتجددة وغير المتجددة فهي قضية تهدد حياة الأجيال القادمة . تعد هذه الاحتجاجات انحياز للبيئة على حساب الأزمة الاقتصادية وكان الوزير الأول الحالي قد قال في عرض مخطط حكومته أمام البرلمان: إن الجزائر تمرّ حاليًّا بأزمة اقتصادية خانقة، وأنّ الخزينة العمومية على حافة الإفلاس، وأنه يفكر في الطريقة التي سيدفع بها أجور الموظفين لشهر نوفمبر 2015، واقترح في مخطط حكومته لإنقاذ الوضع كما قام بتعديل قانون المحروقات بما يسمح باستغلال جميع الموارد الباطنية للجزائر، وأكدّ في أولى زيارة قام بها منذ توليه رئاسة الحكومة من وهران أين زار المنطقة الصناعية أرزيو أن حكومته ماضية قدمًا في عزمها لاستئناف استغلال الغاز الصخري؛ لأنه البديل الوحيد – حسبه – للخروج من الأزمةالتي كانت تعصف بالبلاد من منظور الحكومة ، فقامت هذه الاحتجاجات الواسعة في الجنوب الجزاري بالخصوص والتي استمرت اكثر من ثلاث أشهر وجمعت كل شرائح المجتمع .وحملت شعارات تحمل معاني عميقة تعبر عنها الصور ومنها ما هو شفهي مثل "عين صالح تصرخ لا لتكسير الهيدروليكي هل من مستجيب'' و''كنا ولازلنا صامدين'' و''صامدون صامدون للغاز الصخري رافضون'' و''كلنا يد واحدة للدفاع عنك يا جزائر شرقا وغربا وشمالا .

كما تؤكد الدراسات المنشورة أن عمليات استخراج الغاز الصخري ستؤدي إلى تلويث مياه الشرب مستقبلا بالأرسنيك (أو الزرنيخ) السام، واليورانيوم المشع ومواد أخرى مضافة مثل الرصاص، وهي مواد تستعمل لاستخراج الغاز الذي يستهلك كميات هائلة من الماء (500 لتر في بضع ثواني) عبر ضخه من الوديان والمناطق الجوفية؛ مما يؤكد خطورة الغاز الصخري على الصحة. كما حذر عبد الكريم شلغوم الخبير في الكوارث الطبيعية ورئيس نادي المخاطر الكبرى بالجزائر، من الخطر الكبير الذي يهدد الجزائر في حال تم المضي في مشروع استخراج الغاز الصخري، مؤكداً أنه سيتسبب في تسميم البيئة التي سيتم إنجاز المشروع فيها، و كما أوضح أن خطر استخراج الغاز الصخري، يمتد إلى غاية تلويث المياه الباطنية حيث يصبح الماء بني اللون عكر وفيه رغوة، وهو ما يسبب مشاكل صحية للمواطنين، داعيا الحكومة إلى ضرورة إلغاء هذا المشروع باعتبار الجزائر في غنى عنه مادام الغاز الطبيعي متوفرا بكميات كبيرة.

. ومن خلال خمس مقابلات البؤرية مبنية على البعد الذاكراتي يسترجع الكثير ممن شاركوا في هذه الاحتجاجات خوفهم من تهور السلطة في استخراج الغاز الصخري رغم قوة الاحتجاجات ،ورغم الخطورة البيئية التي يسببها وخصوصا باستعمال الماء، في هذه المقابلة اجمع كل الفاعلين على خطورة الوضع على الانسان والبيئة ولكن الذي كان يعتبر مستغربا عند الساكنة هو كيف لم تفكر هذه الحكومة في مواطنيها الذين رفعوا أصواتهم عاليا دون جدوى ،حيث اعتبرت الحكومة هذه الاحتجاجات مخاوف مبالغ فيها ،كما عبر أحد المبحوثين على جواب الحكومة ب" حتى لو أن الغاز الصخري لا يشكل خطر بيئي فإننا نرفض استخراجه باعتباره ملك للأجيال القادمة ،يضيف لا افهم لماذا يريدون استنزاف ثروات البلد ؟ ويقول مبحوث آخر وصل بنا الأمر أننا كتبنا لافتات تتعلق بوجودنا مثل " لا للإبادة الجماعية " ولكن السلطة لم تفكر بنا ،كيف لها ان تفكر في البيئة ، إنه عالم المصالح والمصالح فقط."

وقال رئيس نادي المخاطر الكبرى" إن الغاز الصخري متوفر بكميات كبيرة في أوروبا وأمريكا، إلا أنهم يتجنبون استخراجه نتيجة التهديد الكبير الذي يشكله على البيئة، إضافة إلى الضغط الكبير الذي تمارسه جمعيات حماية البيئة والمجتمع المدني هناك، ما دفع الدول الأجنبية وعلى رأسهم أمريكا للسعي إلى استخراجه في الجزائر. "

إن السياق الذي وضعنا يقف على مسافة من نظرية الايكولوجيا العميقة لينخرط ضمن اطار يتوافق والحقل الانثروبولوجي وهو النظرية النسوية الايكولوجية كجواب على الهيمنة الذكورية – .حيث تعتبر البيئة قضية نسوية ،ربما يستغرب الكثير من هذا الترابط بيم المرأة والطبيعة ولكن هي علاقة هيمنة الانسان على هذا الآخر المسيطر عليه . إن حوصلة هذه الوضعية من خلال عمل ميداني يكشف عن عمق أزمة ذكورية لا يمكن التفكير فيها إلا انطلاقا من ايكولوجيا نسوية تفتح النقاش حول هذا الآخر–الطبيعة– المهيمن عليه في الجزائر من طرف السلطة بكل أشكالها ونحن هنا نركز على التوجه نحو معاني انتاج المعرفة الخضراء واعادة انتاجها أكثر من الوقوف على إشكالات سطحية (رويثر 1975).

إن هذه اللحظة فارقة مما يتعرض له الإنسان من دمار داخل بيته البيئي،وتدخل علوم الانسان والمجتمع لمحاورة هذا العقل الاقتصادي الصناعي أصبح ضرورة قصوى في الحفاظ على البيئة ،وظهور الفكر الايكولوجي ليحاول إعادة الحياة للوطن وليحاول الانتصار على العقل الانساني البراغماتي الذي فقد عقله لحظة استغلال الطبيعة فأصبح عقلا أحمق .

إذا انطلقنا من أن الهدف الرئيسي للإنسان هو الاستمرار ،فإن فعلا ما لا يمكن أن يكون عقلانيا إلا إذا أخذ بعين الاعتبار تداعياته على المدى البعيد ،وخصوصا فيما يتعلق بتأثيرات الفعل الانساني على مجال الطبيعي.

من خلال ما سبق في علاقة الجزائري ببيئته ومحاولة اتلافها بواسطة التقنية والصناعة مشكل يقض مضجعنا عبر عمليات استخراج الغاز الصخري كما يراها الفاعلون ،وضرورة استغلال كل الموراد الباطنية للأرض كما تراها السلطة السياسة ،هو فتح نقاش حول نزعة مركزية الإنسان في مقابل نزعة الطبيعية ،ومراجعة مقولة الذات والموضوع من خلال تجاوز هذه الثنائية ،ويعتبر هيدغر نموذجا لهذا التجاوز في كتابه "الكون والزمان" . بذلك يبتدئ مؤلفه الأساسي "الكون والزمان" الذي نشره سنة 1927 واكتسب بفضله شهرة كبرى. إن ارتباط الوعي، الذات، بالطبيعة كموضوع ليس هو العلاقة الأصلية للإنسان بالعالم، فهذا الارتباط ليس سوى وليد متأخر لعلاقة أصلية أكثر. أين تكمن هذه العلاقة ؟ أود أن أعالج هذا السؤال في بضع خطوات انطلاقا من "الكون والزمان" إلى تفكير

هايدجر في مرحلته المتأخرة. خلال ذلك سيتضح بأي معنى يمكن أن يتكلم هايدجر عن فقدان الإنسان الحديث في العالم لأي موطن، وهل يرى إمكانية لأن يسترجع العالم من جديد طابعه كموطن .

إن علاقة الذات والموضوع ،الإنسان والبيئة عند هيدغر هي طبيعة العلاقة التي تربطنا بالأشياء في حياتنا اليومية ،إذا وصفناها دون أحكام مسبقة ؟

يبدو أن هذه العلاقة تتمثل عادة في أننا نستعمل الأشياء لغرض ما. إننا نستعمل المقعد مثلا للجلوس، وعندما نقول: "المقعد يهتز"، فإن ذلك ليس حكما وصفيا، بل إننا نريد أن نقول: "إن المقعد غير صالح للاستعمال"، وذلك لأن الاهتزاز يزعجنا عند الجلوس. وهكذا فنحن نفهم المقعد في حياتنا اليومية لا كموضوع نريد أن نصدر حوله أحكاما، كما يفعل عالم النباتات، بل إننا نفهمه انطلاقا من الاستعمال وحده. إنكم مثلا تحتاجون خلال هذه المحاضرة إلى شيء يمكن الجلوس عليه، في سياق الاستعمال هذا يبرز المقعد في مجال رؤيتكم. إن مجال الاستعمال هو الذي يقرر ماذا يكون المقعد بالنسبة لنا، إنه يحدد كون المقعد. إن هذا الكون ليس كون حضور للتصنيف أو الوصف، بل كونا من أجل الاستعمال. هكذا يمكن أن يظهر لنا المقعد صالحا كثيرا أو قليلا للاستعمال. إنه إذا عبرنا بصور حسية، أحسن أو أسوأ "لليد"، كما تكون أداة يدوية جيدة كثيرا أو قليلا بالنسبة ليدنا. لهذا يقول هايدجر: إن كون الأشياء في حياتنا اليومية ليس كون حضور، بل هو كون ـ لليد.

إن سؤال الذات والموضوع كما طرحناها محليا يستجيب لطرح هيدغر المبني على أساس أن اليومي سوى أفق للاستعمال . وبهذا المنطق فإن إتلاف البيئة يعتبره الفاعلون كأعطاب يجب إصلاحها وتجنبها عن طريق الاحتجاج في الفضاء العام والضغط على توقيف عمليات الحفر ،وهذا يعني أنها تظهر كاختلالات وظيفية فقط يجب إزالتها. وبهذا التصور لم يتم الخروج من أفق الفهم الوظيفي للعالم.

أفق الاستعمال هو سمة الإنسان المركز والكائن الوحيد الذي يتمتع بالحقوق عن سائر كل الكائنات الأخرى ويضع نفسه خارج أنظمة البيئة ويعتبرها ملكتيه الخاصة ،فيتصرف فيها كما لو كانت حديقته المنزلية ،ينظمها وينسقها ويشكلها بالكيفية التي ترضي "ذوقه ".. وانطلاق الإنسان في تعامله مع البيئة، من هذا الاعتبار يجعل منه "مشكلة للبيئة " بحيث يصدق القول أنه يستحيل تحديد البيئة المثلى للإنسان إذا كان المرء لا يفكر إلا في الإنسان وحده.

إلى أين نمضي ؟ هو سؤال في عمق الانسية الإكولوجية .وهل هناك حاجة ماسة لأخلاق جديدة بيئية فعلا؟ نحاول أن نمركز هذه الحالة لتتسرب لتساءل وجاهة العلوم الاجتماعية أمام طرح الإشكاليات الاكثر عمقا في علاقتنا مع الطبيعة والمحيط وذلك لا يتسنى إلا ببناء منظومات فكرية صلبة مبنية على الواقع وتفكيكه وعليه وجب التفكير عن مدى مساهمة اخضرار الانثروبولوجيا بصفة خاصة والعلوم الاجتماعية بصفة عامة والعمل على تفعيل اخضرار العلوم الاجتماعية.

3– هتاف الضمير ،الكوليرا في زيارة قصيرة للجزائر

بعض المواضيع تحتاج للتسخين وأخرى للتبريد والعمليتان تحتاجان لأخذ مسافة عن الظاهرة المدروسة للحكم عليها موضوعيا وأخذ مسافة مكانية وزمانية للخروج من الانفعال العامي الذي يورط الباحث الوقوع في أحكام مجانية لا تفيد الموضوع على مستوى انتاج المعرفة ،وموضوع الكوليرا الذي أخذ حقه من النقاش في كل أشكال وسائل الاعلام الجزائرية ومن منظور مقاربات مختلفة ،مما وسع دائرة النقاش سواء كانت ايجابية أو سلبية في تناول هذا الوباء ،من جهتنا نعتبر أن ظاهرة الكوليرا –الجزائرية – هي حالة استثنائية للدراسة ولحظة ممتازة لإعادة بعث حركية المصعد المعطل صعودا ونزولا بين الحكومة والشعب وإعطاء معنى للوضع الايكولوجي بالجزائر من منظور ميكروأنثروبولوجي ،فالكوليرا مشكورة على تكثيف تعرية هذا الواقع صعودا بتأخر وزارة الصحة في الاعلان عن الوباء بعد أكثر من أسبوعين، كما قد طرح السكان في الولايات المعنية أسئلة على الحكومة ومنها هل تستحق الكوليرا 16 يوما لتحديد مصدرها؟ فماذا إذن عن تطويق هذا الوباء؟ وهنا بدأت الأسئلة تتدافع عن وضع الصحة العمومية ،وعن الوضع البيئي بصفة عامة ،وهذا ما اعتبره بعض الفاعليين السياسيين تسيير فوضوي للازمة وخصوصا التأخر الكبير في الاعلان عن حالات الكوليرا، وما زاد النقاش المجتمعي حدة هو تصريح وزير الصحة بأن الاعلان عن الوباء يعتبر شجاعة سياسية والكثير من الدول لا تعلن عن ذلك ،وفي مقابلة أجريناها مع أحد الشباب يقول فيها "لا أكاد أصدق مع حصل ! هل فعلا الكوليرا في الجزائر ؟ "يضيف الشاب "لم

أستطع بل استحيت أن أنشر هذا الخبر وأضاف هو في حيرة وتعجب، كيف تقنع غيرك أن دولة مثل الجزائر ضربها هذا المرض الذي كاد يندثر من قاموس الأمراض القديمة هل عدنا إلى مرحلة الحروب وسياسة التجويع والأمراض والفقر؟

بعد الاضطلاع على الكثير من صفحات الفيسبوك في تعليقاتهم على هذا الحدث، كان يميزها طابع السخرية رغم خطورة الوضع ،حيث اخذت رواية "غابريل غارسيا " عام 1985 " الحب في زمن الكوليرا " صدى كبير مما جعل الكثير يبحث عن هذه الرواية لقراءتها وقد علق أحد الشباب " إن الظروف مواتية للبدء في مطالعة رواية "الحب في زمن الكوليرا".كما حدثنا أحد الشباب مازحا أنه يريد أن يكتب رواية تحت مسمى"الكوليرا في زمن العزة والكرامة "تعليقا على الشعار الذي جعله الرئيس لحملته الانتخابية في عهدته السابقة.

كما لخص لنا أحد الشباب الوضع من بدايته حتى نهايته بجملة واحدة يعبر فيها عن خطوتين أساسيتين لتفادي الكوليرا ب: الخطوة الأولى ،حزم الأمتعة، الخطوة الثانية ،الهروب من هذه البلاد " ،وهذا يعبر على فقدان الثقة وفقدان الأمل في المستقبل ،ويشير كذلك إلى تعقيدات الوضع بالجزائر على كل المستويات السياسية والاقتصادية والصحية . وعندما عمقنا الحوار مع هذا الشاب بسؤال بسيط: أين هو المشكل فيما حصل وما هو الحل الذي تراه مناسبا على الأقل في مستواك فأجاب "من أين تبدأ ،ومن أين تنتهي ،كل القطاعات مريضة، كل القطاعات مصابة بالكوليرا ،موت إنسان بداء الكوليرا في هذا الوقت وبمقدرات هذا البلد إهانة للإنسان

.

وفي ظل هذه الأزمة قدمت وزارة الصحة والسكان بتاريخ 28/أوت 2018 تأكيد إصابة 62 حالة بهذا الداء وقدمت الوزارة توزيعا للحالات كالآتي:

البويرة : 03حالات مؤكدة من بين ستة06 حالات مشتبه بهم.

البلدية 30حالة مؤكدة من بين 106 حلة مشتبه بها.

تيبازة : 12 حالة مؤكدة من بين 19حالة مشتبه بهم

الجزائر العاصمة 10 حالات مؤكدة من بين 27 حالة مشتبه بهم.

المدية 01 حالة مؤكدة

عين الدفلى 02مشتبه فيهم (بيان صحفي).

وقد توفي شخصين على مستوى مستشفى البليدة بنفس المرض وتم تسجيل اكثر من 139 حالة.

ما ميز هذه المرحلة هو التسيير الفوضوي للازمة والتناقض في التصريحات في الوزارة الواحدة حيث كذبَت وزارة الصحة وإصلاح المستشفيات ضمنيا ما ورد على لسان الوزير بخصوص القضاء على وباء الكوليرا في ظرف ثلاثة أيام ،وتضاربت التصريحات بين الوزارات فمعهد "باستور" رأى أن "هناك اشتباه أن تكون مياه الري التي استخدمت لسقي بعض الفواكه مثل البطيخ وراء ظهور وباء الكوليرا."

لكن هذا التصريح يتناقض تماما مع تصريح آخر أدلت به وزارة الصحة طمأنت فيه جميع الجزائريين بخصوص نظافة ونقاء المياه المستخدمة في المجال الزراعي، كما دخلت منظمة الصحة العالمية على الخط وحذرت من استمرار الكوليرا ،حيث أوردت المنظمة على صفحتها " تظل الكوليرا تمثل تهديداً عالمياً وهي من بين المؤشرات الأساسية للتنمية الاجتماعية. ولئن كان المرض لم يعد يشكل تهديداً في البلدان التي لديها الحد الأدنى من المعايير الصحية، فهو يظل من التحديات المطروحة على البلدان التي لا يمكن فيها ضمان الحصول على مياه الشرب النقية والمرافق الصحية الملائمة. ويواجه كل بلد نامٍ تقريباً فاشيات للكوليرا أو تهديدات بوباء الكوليرا" ، يضاف إلى كل هذا تكذيب الساكنة لوزارة الصحة من خلال تحديها بشرب من نبع "حمر العين" الذي اعتبر مصدر الوباء ،حيث قدمت القنوات الوطنية ومواقع التواصل الاجتماعي –يتوب– المواطنين وهو يشربون من هذه العين، كما تحدوا الوزارة بأكل فاكهة الدلاع وبعض الفواكه الموسمية كل هذا يؤشر لضعف الثقة والمصداقية، كما تعاطت الطبقة السياسية مع الوباء بشكل بارد وتعدى

الأمر ليشمل المؤسسات التربوية حيث فتح المواطنون ملف الصحة العمومية والنظافة حيث بدأت عمليات تفتيش لصهاريج المياه الموجودة فوق اسطح المؤسسات التربوية ومراحيض التلاميذ التي تعتبر خطر صحي ،وفتحت القائمة لتشمل سلسلة من القطاعات التي كانت كارثية ،أما نزولا فان صفحات الفسيبوك التي نقلت لنا حرارة الواقع بكل مصداقية وابرزت لنا كمية القاذورات وغياب النظافة القاعدية وخصوصا في شوارعنا وكأنها ليست ملكا لنا وكانت الصور التي تأتي من كل الولايات وكأنها نشرة اخبارية على ارتباط الكوليرا بغياب النظافة وهذا في ذاته يحمل معنى ايكولوجي ،حيث أُستنفر الكثير من الجمعويين للقيام بحملات تنظيفية في شوارعهم ليس خوفا من الكوليرا ولا حفاظا على البيئة ،بل للخروج من وسم "الجزائري الوسخ" فالجزائري يفضل أن يموت بالكوليرا ولا يموت "بقهر الحشومة " ،كما فضل آخرون رفض مشاركتهم هذا النوع من الحملات لأنها تعزز فعل" الوسخ" في المحيط وعلى هؤولاء الفاعلين تغيير استراتيجيتهم بتفعيل آليات قانونية ردعية لكبح هذه الممارسات رغم أننا نرى أن المسألة من الناحية السوسيولوجية أعمق من ذلك بكثير ويتعلق بسؤال المدينة / البادية وسؤال ترييف المدينة وتريف العقل الجزائري وتسطيحه فنحن بحاجة لأدوات وميكانيزمات لتنظيف عقولنا قبل تنظيف أوساخنا المتراكمة، وننخرط في الاجابة على سؤال المواطنة من أنا ؟ وماذا علي أن أفعل ؟ عندما يتم طرحهما طبعا في الفضاء العمومي.

إن عملية "اجتثاث "Le déracinement " الإنسان من موطنه الأصلي هو ما أطلق عليه " اجتثاث إيكولوجي" ساهم في تشكيل ألفة اجتماعية جديدة لم تسطع أن تتصالح مع المدينة ولم تسطع أن تتصالح مع "إكولوجيتها " وهذا يعود للامساواة وتكافئ الفرص مما "ساهم في امتداد ظاهرة النزوح الريفي، إلى يومنا هذا، مما ساهم في تفوق نسبة السكان، في القطاع الحضري عنه، في القطاع الريفي ."

"وفي هذا السياق يقول على الكنز :إن اكتشاف التجربة الاجتماعية هو وليد نشاط نظري وحركية اجتماعية انتهت إلى فرض المجتمع لنفسه كموضوع مركزي يستدعي الدراسة، فكل شيء تغير، أنماط المعيشة كما التصورات، وتوسع الفضاء الحضري على حساب العالم الريفي الذي لم يستطع الحفاظ سوى على ثلث السكان الإجمالي، إن إعادة التشكيل هذه تجعل الحركية التاريخية تنتقل من الريف نحو المدينة، وفي المدينة حتى وإن كانت غير منظمة وكان السكن في الأحياء القصديرية الضعيفة التجهيز يتم اكتشاف حاجات جديدة: كالعمل المأجور والصحة والمدرسة ووسائل الإعلام العصرية، إن الذي حصل لم يكن تغييرا لنمط الإقامة فقط، إنه تغيير لنمط الحياة .

انتشار داء كوليرا هو تجذير لأزمة مرور من شكل إلى آخر في الرابط الاجتماعي بالدرجة الأولى لأننا ببساطة لم نستطع الخروج من الرابطة البيولوجية إلى رابطة المواطنة، فالرابط الاجتماعي التقليدي مستمر في الحياة المعاصرة وثقافة الحداثة ولكن بشكل غير عقلاني مع سياق المدينة فهو يعيش فيها ولكن منفصل عنها ولهذا لم تستوعب إشكالات الايكولوجية و لم تستوعب مبدأ العطاء ورد العطاء .

للكوليرا فضل كبير على الجزائريين في مساءلة العلاقة بين الجزائري وبيئته وإعادة قراءة ايكولوجية عميقة لأسباب التلوث البيئي من منظور العلوم الاجتماعية وتحليلنا لا يتمركز في هذه الورقة على الخوض في تقصير الحركة الايكولوجية بالجزائر أو مقاربة الايكولوجيا الضحلة من منظور الانسان القابل للحياة (توماس بيري) بل ما يهمنا هنا هو الفجوة المعرفية في أسس معرفتنا اتجاه بيتنا البيئي ؟ وكيفية بناء عقلانية جديدة متنورة بالمعرفة الايكولوجية مع ميثاق أخلاقي (أخلاق الرعاية) لالتزامات الجزائر نحو الاجيال القادمة.

ما يهمنا هنا من الناحية التحليلية هي مركزية الانسان كقيمة مركزية مؤثرة على الثقافة الأيكولوجي و في مناقشة هذا المشكل، هناك موقفان أساسيان يتعارضان جذريا. يصر الطرف الأول على أنه من حق الإنسان مبدئيا أن يغير عالمه بالكيفية التي يريد ؛ لكن عليه فقط أن يعمل، بكيفية أكثر يقظة مما هو عليه الأمر حتى الآن، على تجنب الآثار المضرة التي تنجم عن تدخله في البيئة. يبقى الإنسان، بالنسبة لهذا الموقف، هو مركز العالم الذي يستغله ومالكه. أما الرأي المعارض فيحارب بالضبط مركزية الإنسان هاته؛ إنه يدعو إلى أن يتخلى الإنسان عن الادعاء بأنه يمثل مركز العالم، وأن يتعلم، بدل ذلك، كيف يندرج في الدورات الإيكولوجية للطبيعة وكيف يخضع لها. ليس الإنسان هو الذي ينبغي أن يسود، بل الطبيعة. هكذا نجد أنفسنا أمام نزعة طبيعية تعارض نزعة مركزية

الإنسان (Harries 1992) فالنزعة المركزية لإنسان والنزعة الطبيعية في إطار مناقشة مشكل البيئة ليستا سوى طبعة جديدة لجدل يخترق فلسفة العصر الحديث وثقافته.

4–الخاتمة :

إن عملنا يقوم على أساس ميداني مستخدما الترسانة المفاهيمية للعلوم الاجتماعية في تناولها للايكولوجيا من منظور محلي ووفق ثلاث حالات محددة طغت على الساحة الجزائرية ،إن عملنا لا يعمل على تحليل تقصير الحركة الايكولوجية بالجزائر أو مقاربة الايكولوجيا الضحلة من منظور الانسان القابل للحياة (توماس بيري) بل ما يهمني هنا الفجوة المعرفية في أسس معرفتنا اتجاه بيتنا البيئي ؟ أي بناء عقلانية جديدة متنورة بالمعرفة الايكولوجية مع ميثاق أخلاقي (الاخلاق البيئية) لالتزامات البشر نحو الاجيال القادمة .

إلى أين نمضي ؟ هو سؤال في عمق الانسية الإكولوجية .وهل هناك حاجة ماسة لأخلاق جديدة بيئية فعلا؟ مداخلتنا تتمركز حول وضعية حالة ولكنها تتسرب لتساءل وجاهة العلوم الاجتماعية أمام طرح الإشكاليات الاكثر عمقا في علاقتنا مع الطبيعة والمحيط وذلك لا يتسنى إلا ببناء منظومات فكرية صلبة مبنية على الواقع وتفكيكه وعليه تتمحور إشكاليتنا على مدى مساهمتنا في اخضرار الانثروبولوجيا بصفة خاصة والعلوم الاجتماعية بصفة عامة والعمل على تفعيل اخضرار العلوم الاجتماعية من أجل المساهمة في استجواب الطرق المختلفة التي يفهم بها علماء الانثروبولوجيا العلاقة بين الطبيعة والثقافة .

اعتبار إتلاف البيئة فقط كأعطاب علينا إصلاحها وتجنبها في المستقبل عن طريق تحسين تنبؤاتنا. وهذا يعني أنها تظهر لنا كاختلالات وظيفية ليست موجودة إلا لكي تتم إزالتها. وبذلك لا يتم مبدئيا الخروج من أفق الفهم الوظيفي للعالم والقراءة الخضراء للعلوم الاجتماعية هي شرط مسبق من أجل فهم أعمق لأزمتنا البيئية.

– الإحالات والمراجع :

[1] **روبرتو مانغابيرا أونغر: يقظة الذات ، ترجمة ايهاب عبد الرحيم محمّد ، سلسة عالم المعرفة ، الكويت ،العدد 1978،375.**

[1] تواتي دحمان وآخرون ،الثورة التحريرية في أقاليم توات –1962–1956 منشورات جمعية مولاي سليمان بن علي، لحماية مآثر الثورة التحريرية، ص106.

[1] عمر منصوري، صمت رهيب و أثار لا تنسى، مجلة الجيش، العدد 559 ، إصدار مؤسسة المنشورات الفكرية، فيفري 2010 ، ص23.

[1] رشيد حمليل: ديغول يخسر الزبدة ودراهم الزبدة: مجلة الجيش العدد 200 نوفمبر 1229 ، ص 43.

[1] عبد الكاظم العبودي، ورقة بحث، مصادر التلويث الإشعاعي و أوضاع ضحايا التفجيرات النووية في الهقار وجنوب الصحراء الملتقى الوطني إحياء الذكرى 52 لكارثة بيريل النووية التفجيرات النووية الفرنسية، ولاية تامنغست 2014.

[1] بلعروسي عبد الفتاح،الجرائم النووية الفرنسية في رقان ،تحت اشراف مبخوت بودواية مكرة تخرج لشهادة الماجستير في التاريخ ،جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان ،2015.،ص129

[1] فكتور مالو سيلفا، ***رقان حبيبتي"***،*ترجمة سعيد بوطاجين*،منشورات عدن الجزائر،2013 ص155.

[1] فكتور مالو سيلفا ،المرجع السابق ،ص115.

[1] بوطاجين سعيد ،رقان حبيبتي ،مرايا عاكسة ، جريدة الجمهورية ،.2018.10.22،

[1] فكتور مالو سيلفا ، المرجع السابق .

[1]جمال بن عروس،مستقبل برامج الطاقة المتجددة في الجزائر و تبني فلسفة التسويق الأخضر قراءة للواقع الجزائري بين أزمة الغاز الصخري و برامج الطاقة المتجددة ،مجلة دراسات وأبحاث اقتصادية في الطاقات المتجددة،العدد الثالث،ديسمبر2015،ص12.

[1] جمال بن عروس ، نفس المرجع ، ص 15

[1] نفس المرجع ،ص20–21.

[1] إكرام فهمي حسين ،أثر التقدم العلمي على الانسان والبيئة في العصر الحديث ،مجلة كلية الآداب بجامعة حلوان ، عدد 26يوليو 2009،ص452.

[1] مارتن هايدغر ،الكينونة والزمان ،ترجمة فتحي المسكيني ،ومراجعة اسماعيل المصدق ،دار الكتاب الجديد ،الطبعة الأولى سبتمبر ،2012.

[1] مارتن هيدغر ، الكينونة والزمان ، ترجمة فتحي المسكيني ،مراجعة اسماعيل المصدق ، دار الكتاب الجديد المتحدة ،الطبعة الأولى ، 2012.

[1] كُلاوْس هيلْد،العالم والأشياء ،ترجمه عن الألمانية: إسماعيل المصدق، ضمن كتاب جماعي أصدره Christoph Jamme و Karsten Harries تحت عنوان : "مارتن هايدجر، الفن . السياسية . التقنية" عن دار النشر Wilhelm Fink بميونيخ سنة 1992، ص 319 . 333 .

[1] كُلاوْس هيلْد ،نفس المرجع .

[1] Ferry Luc, Le Nouvel Ordre écologique, L'arbre, L'animal et L'homme, éditions Grasset et Fasquelle, Paris, 1992.p68.

[1] رشيد الحمد، مُحَمَّد سعيد صباريني،البيئة ومشكلاتها ، علام المعرفة الكويت ،العدد 22،1979،ص108.

[1] بيان صحفي لوزراة الصحة :www.santé.gov.dz

[1] :Christoph Jamme وKarsten Harries "مارتن هايدجر، الفن . السياسية . التقنية" عن دار النشر Wilhelm Fink بميونيخ سنة 1992، ص 319 . 333 ، ترجمه عن الألمانية: إسماعيل المصدق